الملك والدرويش

بقلم ولفريد ستابلتشير
للأستاذ محمد لطفي جمعة

كان في بعض أقطار الفرس — آذربيجان — ملك اسمه فضل الله ، وكان عادلاً رحيماً ، رؤوفاً برعيته، كريماً على فقرائهم، ساهراً على سعادتهم ، شاهراً سيوف جنده للذود عن حياضهم. يجوس خلال ديارهم لينصف المظلوم للظالم، قائماً بواجب الحكم خير قيام ، ناصباً ميزان العدل والاحسان . ومن حسن سيرته وسماحة نفسه أنه كان يعيش على أتم وفاق ووئام مع زوجته الحسناء أنوشروان . وكانت الملكة أنوشروان نموذجاً للوجه الضاحك المستبشر الطلق المتهلل ، الناطق بما تجيش به الروح من مشاعر الفرح والطرب وعواطف الرقة والظرف والدماثة ، فأجال في صفحات ذلك الوجه الفارسي البديع ماء البشر والبشاشة ، وكساه رونق الأنس والابتهاج، ونضرة النعيم والأمن والطمأنينة وكالبدر يغنيها تودد وجهها
إلى كل من لاقت وإن لم تودد

هذا البشر والبشاشة والابتهاج التي هي أهم عناصر الحسن والجمال في المرأة لا تجتمع إلا مع الأدب والتواضع والرقة ، ولا تتوافر إلا لمن ينعمن بعيشة هنية وحياة رضية

وكان الملك فضل الله صالحاً ورعاً ، تقياً مؤمناً ، يقرب من يتوسم فيهم الاخلاص ويثق بمن يظهرون التقوى ، ويلين لهم ويغدق عليهم تزلفاً إلى الله وقربى. فقدم على بلاطه يوماً درويش من المتصوفين حديث السن ، جميل الصورة ذو فطنة وذكاء وأدب وظرف ، فأقام أياماً بين الحاشية والبطانة ، فاستطاع أن يجذب إليه القلوب ويفتن الألباب برقة شمائله وحلاوة طبعه، وظرف خصاله ، وعذوبة حديثه . وكان الفتى المتصوف جم التواضع ، كثير الاطراق، ذا قناعة وعفة ، غزير المعرفة ، فنمى خبره إلى الملك وبالغ الأمين الذي وصفه في حسن تقديمه في غيبته

فتاقت نفس الملك إلى رؤيته وسماع حديثه والسرور بارتشاف سلافة محادثته ، فأوفد أمينه

تعريف بالقصة

وبفريد ستابلتشير كاتب انجليزي مقل. أحب الأسفار في الشرق وكان ذلك عقيب قراءته قصة « حاجي بابا الأصفهاني » التي كانت لها شهرة ذائعة . فساح في إيران وحدثه إليها شعر الخيام ، وأداب الحافظ والفردوسي ، وقد دون أسفاره في مجلدين وكتب بعض قصص قصيرة منها قصة الملك والدرويش التي جمعها على نمط البوليسيات الحديثة ، وإنما المعركة بالعقول بين الأرواح ، لا بين الأجساد . ووصف الحيلة الشرقية على هذا الأسلوب البارع نادر في الأدب الأوروبي. قال محرر « بلاكوود مجازين » الذي ننقل عنه هذه القصة الرائعة « إنها خارجة من أعماق الشرق كليلة من ألف ليلة ، عبيرها مسحة من أحلام الوديان الهادئة والجبال الشامخة، وفيها ألوان من حياة الملوك الدهاة وبعض الدراويش الخادعين الذين يتجرون بالأرواح ويسرقون الأجساد وينصبون شباكهم لأحبابهم قبل أعدائهم ، ويتصيدون نفوس من أحسنوا إليهم ، وهم يخفون تحت مرقعاتهم نفوساً أسود من غابة الجب وأعمق من الآبار المظلمة » ولذا أثرنا تعريبها لقراء الرواية عسهم يجدون فيها من المتعة ما ذكره ناقدها الأريب .

الذى ذكر محاسنه وفضائله فدعاه إلى مجلس العرش فتلطف الملك فى استقباله ، وأقبل عليه حتى أزال وحشته ، فوجد ما شاء علماً وأدباً ، ثم شجعه فأصاب مالم ينتظر ، دهاء وأرباً ، وسعة حيلة ، وجمال وسيلة ، وبُعدغور ، إلى تجربة وحنكة وغزارة حكمة . وألفى حقيقة الرجل فوق الذى ذاع ، وأبصر فى صورته وعقله وبصيرته وبصره بالأمور أكثر مما قَصَّرت فى نقله الأفواه الأسماع . ففرح الملك بهذا المتصوّف الناشئ أعظم الفرح ، وكأنه ظفر بغاية الأمانى ، ونادرة الدهر ، ورابع المستحيلات . فتمسك به وأدناه ونسى بهذا الضيف الجديد كل الندامى والسُّمّار ، واكتفى به عن جميع الوفود والزائرين . وأراد أن يختص به نفسه وأن يستبقيه فى بلاطه ، ليستمتع به ما بقى من أيام عمره التى تخيلها صحراء مجدبة بدون استمرار مودته ، فعرض على الدرويش السعيد أسمى ما لديه من المناصب والرتب ، وبذل أقصى ما يملك بذله من المال والنشب ، وحسّن له أعلى مناصب الدولة ، حتى رياسة الوزارة وجلال الإمارة ، لم يبخل بهما عليه ، وهى تلك الوظائف التى رأى سادة البلاد ومشيختها وصفوة خيارها وزعمائها يتكالبون عليها ، ويتهافتون على لهبها تهافت الفراش على النار ، مهما بلغت بهم السن وقطعوا من أشواط الحياة ونالوا من مفاخر المجد فى السلم والحرب ، فما زالت بهم حكة تدعوهم إلى معاودتها ، ولكن الدرويش اللبيب تنحى شاكراً ، وأبى معتذراً قائلا :

— مولاى ! لست وربى سبحانه أرفض بطراً ولا أتردد مطلاً ، ولا أتعفف تصنعاً . ولا أحرم نفسى من جميل عطفك ترفعاً . أستغفر الله وأستميحك عفواً . ولست وحقك بالدّعىّ الذى يظهر التواضع الكاذب ، ليزداد فى نظرك قدراً ، فما أنا بحاجة إلى هذا كله ، أو بعضه ، ولست بمن تخفى عليه حقائق الأمور ، ولكننى عاهدت الله ونفسى ألا أتقلد منصباً ، ولا أكبّل روحى بسلاسل الأعمال فى هذه الدنيا ، لأننى قد آثرت الحرية على كل ماعداها . فإن صدقتنى ، ولا إخالك إلا متفضلا علىّ بثقتك ، تركتنى أعيش فى أكنافك ناعماً برحمة الله ورضاك ، كما أنا وكما كنت دخلت أول يوم فى رحابك . وإلا فأطلقنى أذهب أنى شئت ولك الشكر على ما أوليتنى من فضلك السابق . فلما أصغى الملك العادل الرحيم فضل الله إلى حديث نديمه ودرويشه ، تضاعف إعجابه به ، وَرَبَتْ ثقته فى ورَعه ، فخصه بأوفر نصيب من الحظوة والقرب ، حين أعياه أن يجعله وزيره ومشيره .

ولما كان الدرويش يتقن ركوب الخيل ويحسن الكر والفر ، ويجيد الرماية ، مما لا يتوافر إلا لأبناء الملوك وخاصة الخاصة ، فكان يدعوه أحياناً إلى صيد الظباء على صهوة الجياد ، فيرى من ضروب الفروسية عجباً . وفى ذات يوم خرجا يلهوان فى بعض الحراج ، وقد انقطعا عن الحاشية والأتباع وأنس الدرويش من الملك ميلاً إلى سماع حديثه فأنشأ يقص عليه بعض نوادر أسفاره ومخاطر أيامه السالفة ، ومغامرات ماضيه ، فساق فى عرض أخباره أنه كان فى جزيرة « ديسكا » من جزر الهند الشرقية ، فصحب رجلاً من شيوخ البراهمة ، وإماماً من أئمتهم ، وقطباً من خيرة أقطابهم ، هو مركز دائرة الوصول عندهم ، ومنبع نهر الحقيقة فى عرفهم ، وتجمع أسرار الطبيعة لديهم ، سادن الهيكل ، وأمين خزائن الحكمة . وقد

شاء الله الواحد القهار والفعال لما يريد أن تكون وفاة هذا البرهمي بين ذراعي الدرويش

فلما جاءته سكرات الموت ، وبلغت روحه التراقي ، ولم يبق بينه وبين «الانفصال عن جسده» وثوبه الأرضي والانسلاخ عن جلده والوثب عن كثب إلى العالم الثاني ، سوى بضع ثوانٍ ، أو قُلْ بعض أنفاس تتردد ، أومأ إليَّ أن أصغي إليه ، فطاطأت رأسي حتى لامست فمه فباح لي بسر من أخطر أسراره ، وأخذ عليَّ عهد إليه وميثاقه ألا أبوح به ما بقيت فيَّ نابضة

فوقف الملك مذهولاً من إفراغ الخبر في قالب التشويق حتى طارت نفسه شعاعاً في سبيل الوقوف على حقيقته . فقال للدرويش على سبيل التخمين والحدس « لعله صناعة الذهب من المعادن الخسيسة ، أو حجر الفلاسفة »

قال الدرويش : كلا ! بل هو أعجب من ذلك وأغرب

قال الملك : لعله نبع الحياة الذي إذا شرب منه الشيخ جرعة عاد إليه شبابه ورجع إلى صباه وأقبل على اللذات ونشف كؤوسها كما كان فتياً

قال الدرويش : كلا ! يامولاي بل هو أعجب من ذلك وأغرب

قال الملك : لعله بساط سليمان أو فرس نعمان الذي ينقلك من مكان إلى مكان في طرفة عين

قال الدرويش : كلا ! بل هو أعجب من ذلك وأغرب :

قال الملك : لعلك تستطيع رؤية من تحب وتخاطبه وتعاتبه وأنت منه على بُعد شاسع ومسافة تطويها الجياد في أيام

قال الدرويش : كلا ! بل هو أعجب من ذلك وأغرب

فضحك الملك وقال : إلى هنا وكلَّت غزالة ذهني فلا تجري وراء ذلك ، وهبط طير العقل فلا يحلق فوق ما ظننت

فقال الدرويش ، وهو عابس لا يفارقه الوقار ولا يجاري الملك في سروره : إنما السر هو إحياء جثةٍ ميتة بنقل روحي إليها

فبهت الملك وقال : التقمص أو التناسخ

قال الدرويش : فليسمه مولاي بما شاء من من الأسماء . إنما هو البعث والاستبدال وقهر الموت

فقال الملك : ان الذي يؤمن به يكفر بدينه ، فقد كان عقيدة المجوس وأتباع زاردشت . إن البعث لا يكون إلاَّ مَرةً واحدة ، يوم القيامة . ومعجزة إحياء الموتى لم يهبها الله إلا نبياً واحداً

فقال الدرويش : لادخل للكفر والايمان ، فإنها صناعة وذريعة ، لا كرامة ولا معجزة .

فقال الملك : إن في كتبنا خبر حسن بن صباح الذي رأى حماراً يحمل حجارة ، ويتلكأ في الطريق وسائقه يلكزه والحمار يبكي ، فدنا منه وتحدث إليه ثم قال : إنه صاحبي فلان ، رفيق صباي وزميلي في المدرسة ، قد تقمصت روحُه جلدَ حماره . ولكننا نقرأه كما نقرأ شعر صاحبه الخيَّام على أنه حديث خرافة وتسلية النساء ومزاح الأغرار

قال الدرويش : والملك آسر حدَّون قلَّبه الله أتانا ترعى العشب وتمزق الكلأ بأسنانها وأنيابها وتطرد الذباب بذنبها ، وكان ذلك تهذيباً له وإذلالاً لنفسه بعد طغيانه وظلمه ، وقد كان ملك آشور ، فغزا ديار الملك ليللي ودمر بلاده تدميراً وتركها طعمة

للنار وحبس عدوه المظلوم فى قفص من حديد .

فقال الملك : لقد حسبتك تمزح ولكن إيراد المثال يضع حداً للقيل والقال . قل لى بربك أيها الدرويش أين تذهب الأرواح عندما تغادر الأشباح ؟ أيذهب الملك العادل والحكيم الخبير والشاعر الأديب والجمال الناضر إلى حيث لاعودة ، إلاّ يوم النشور ، حيث يردون دار النعيم أو دار الشقاء ؟ وعلامَ العلم والأدب والتفكير والأحلام والرجاء إذا لم تطل حياة الانسان أكثر مما نرى فى هذا الوجود ؟

فقال الدرويش : حذار يامولاى فقد كنتَ تُحَذِّرُنِي مغبة النظر فى هذه الحكمة الإلهية ، وها أنت ذا تندب حظ البشر ، لأنهم يعيشون على سطح الأرض مرة واحدة ، وتستكثر على الموت أن يطوى صفحاتهم قبل أن يستمتعوا ، أو توافيهم آجالهم فى الوقت الذى آن أن يجنوا ثمار جهودهم ، وينتفع الناس بخيرهم ... ولعلك أيضاً تجد الزمان الذى يذهب بين الموت والبعث أطول مما يستحقه الفضلاء من السجن فى البرزخ والأعراف وما إليها

فقال الملك : ماأسرع تنقل الفكر الإنسانى ! فأين نحن من صناعة البرهمى التى لقنك إياها . هيا بنا إلى الصيد يادرويشى العزيز ، فإن فيه انصرافاً عن مزالق الزندقة ونجاة من الوقوع فى مهاوى الهرطقة .

وفى تلك اللحظة سنح لهما ظبي ، فرماه الملك فأصماه ، ثم أقبل على الدرويش فقال :

— دونك جثة هذا الظبي الغرير ، فأرنى آيتك وأثبت لى براعتك وأعده إلى الحياة أو أعد الحياة إليه ، بعد أن أوردته بسهمى مورد الحتوف .

فلم يك إلا كلمح البصر حتى رأي الدرويش قد خرج من جسده ، فغادره جثة هامدة ملقاة على الصعيد ، وانسلّ فى جثة الظبي فتقمصها ولبسها وأحياها بروحه ، فأنهضها وإذا الظبى حَيٌّ يتنزى مراحاً ، ويتوثب طماحاً ، حتى أقبل على الملك يتمسح به ويحوم حوله ، ليثبت له أنه درويشه ونديمه وأنيسه ، وأنه لو كان ظبياً غير الذي أصماه الملك ، لأسلم مرابعه للريح ، وتعلق بأذيال الفرار

ثم انبرى الظبي المبعوث للعشب والكلأ يرعاها ما شاء . فاغرورقت عين الملك الطاهر الطاوية بالدموع على « غزاله » الذى كان منذ برهة نديمه وأليفه وعشيره . ولكن الظبى ما لبث أن خر إلى الأرض جثة هامدة ، وفى نفس تلك اللحظة تحرك جسد الدرويش بعد همود ، وبدت عليه دلائل الحياة ، ثم نهض كأصح ما كان وأنشط ؛ فأقبل عليه الملك يقبله ويهنئه وقد دهش من تلك المعجزة الخارقة وأقسم عليه بكل عزيز ورفيع ومقدس ، إلا ما لقّنه هذا السر العظيم . فاعتذر الدرويش وتأبى وادعى أن شيخه البرهمى لم يأذن له فى تلقينه أو البوح به دون سابق رياضة ومران ، فإن مثل هذا السر ليس بالشيء الهين ... وما زال كذلك حتى بدأ مولاه يتذلل إليه ويهون لديه ، فوقف عند هذا الحد من التأبى والتيه ، وماعتم أن أذعن ثم لقنه سر الآية مضمناً لفظتين بالسريانية . وأراد الملك أن يجرب المعجزة لتوه وساعته . وكانت جثة الظبى لا تزال طريحة على الثرى ، فعمد الملك نحوها وتلا اللفظتين ، فما هو إلا كلمح البرق حتى انتقل روحه إلى جثة الظبي وخر جسده إلى الأرض ميتاً

فى تلك اللحظة أقبل الدرويش الخائن على جثة الملك وهى خلاء من الروح ونقل إليها روحه بسرعة

البرق الخاطف وتناول قوس الملك وكنانته وسدد سهمه إلى شخص الظبي المشتمل على روح الملك يريد إصابته وإعدامه ، حتى إذا زهقت روح الملك من جثة الظبي بهذه الكيفية ثم لم تجد جسماً تلتجئ إليه ، ذهبت بطبيعة الحال إلى عالم الأرواح أو ذلك البرزخ الذى كان الملك يعجب لاختزان النفوس الفاضلة فى أكنافه . وهذا هو الموت الزؤام بعينه . وبذلك يكون الملك قد مات موتاً لا مراء فيه ولحق بالأعراف أو عليين . وقد أصبح الدرويش هو الملك ولا يفطن أحد إلى حقيقته إذ كان يتقمص جسد الملك وصورته فيعود إلى البلاط ويحمل الأكرة والصولجان ويلبس التاج ويجر ذيول القباء القرمزى ، ويقبض على أعنة الحكم ، ويتصرف فى الدولة كما يشاء ، له الأمر والنهى والعزة والجلال . وقد أدرك الملك الحبيس فى جثة الظبي هذه الحيلة البعيدة الغور ، وكشف له عن سر الدرويش الشرير وما كان يضمر له من سوء جزاء له على إحسانه إليه وبره به وتفضيله على رجال بلاطه وأهل حاشيته ، فحنق الملك الظبي وحرق الأرم ، ولكنه لم يكن يملك الانتقام من عدوه وهو فى موقف الفريسة من المفترس ، والصيد من الصائد المسدد سهمه إلى جسده ليهريق دمه . ولكنه بدلاً من أن يذيب كبده غيظاً وعجزاً راغ من السهم ، فأفلت من شرك الردى وهام على وجهه فى الآفاق... وكل الصيد فى جوف الفرا . فاكتأب الدرويش هنيهة ثم أخذ فى مطاردة مولاه والبحث عنه فى الآكام حتى أعجزه التنقيب فعاد من حيث أتى راجياً أن يلقى الظبي حتفه على يد صائد آخر ، فإن الظباء السمينة قصيرة الأعمار

وعاد الدرويش فى شخص الملك إلى قاعدة ملكه وعاصمته ، يترنح طرباً ويختال تيهاً ، فتناول الصولجان وتبوأ عرش الدولة . ولكى يأمن ضياع العرش المغتصب والتاج المستلب ، أصدر أمره إلى الرعية بإعدام كل ما تحويه الآجام من وحوش الظباء حتى يهلك فيها يهلك هذا الظبي الذى تقمصت فيه روح الملك الحقيقى . ولكن الأقدار أعانت الملك فأفلت من سهام الرماة والمتعقبين بتقمصه فى جثة بلبل ميت كان قد بصر بها ملقاة على الأرض عند جزع شجرة تين مثمرة

وفى هذا التقمص الجديد طار الملك سالماً إلى بستان قصره الذى كان الدرويش يعمره مع الملكة وكانت تشعر نحو الدرويش المتقمص فى جسد زوجها بنفور أوحته إليها الفطرة الشفافة والحس المرهف والنفس المشرفة بالنور الروحانى على بعض الخفايا فلم تبذل فراشها لروح غير روح زوجها . ولم تقبل على الدرويش الخائن يوماً .

هنالك وقع الملك البلبل على فنن أيكة بجوار نافذة الملكة وشرع يغرد ويرتل حتى هز برنين صوته أركان المكان ، وأرقص بشجا حنينه الغصون والأفنان ، وحتى فتن الملكة واستهواها ، فدنت إلى النافذة طرباً بألحانه واشتياقاً إلى نغمه . فأحزنه من الملكة أن رآها قد سرت بحنينه ، وابتهجت لأنينه ، وقد كان مراده أن يهيج أحزانها وأشجانها ويستثير رحمتها ورأفتها . وما كان أعظم ضيقه وألمه وهو عاجز أعظم العجز عن الانتقام من عدوه والاستمتاع بزوجته والعودة إلى ملكه . ويزيده كمداً أنه غير قادر على شرح حقيقة حاله لأقرب الناس إليه ، وهيهات أن يصدقه أحد حتى إن هو

ملك زمام النطق البشرى أو وهبته الطبيعة فصاحة سحبان وحكمة قس . فرضى من الدنيا بنصيبه الجديد ولبث ردحاً من الزمن ينعش نفس زوجته بالألحان فى كل صباح ، حتى استدعت صاحب طيرها وأمرته أن يبذل أقصى ما لديه من الحذق لاقتناص ذلك البلبل الصداح . غير أن (البلبل الملك) لم يحوج صاحب الطير إلى بذل أدنى مجهود لاقتناصه ، بل وقع فى يديه طائعاً مختاراً منتهزاً فرصة الأسر للدنو من زوجته

فلما عرض عليها ومعها حاشيتها من الوصائف اندهش الجميع لما رأيته ينفر منهن إلا الملكة فإنه سقط عليها يتمسح بها ويتشبث بأردانها ثم اختبأ في جيبها ففرحت بما أبداه البلبل من التحبب إليها والتحدب عليها دون سواها ، وأمرت به أن يجعل فى قفص من الذهب المرصع بالجوهر فى غرفتها بشرط أن يبقى مفتوحاً حتى لا يشعر بضيق الأسر ولذلك جعل البلبل بفضل منزلته الجديدة وزلفاه ، يبدى للملكة من أساليب الملاطفة والمداعبة ماتسمح به طبيعته وخلقته . وجعلت الملكة تقضى الساعات العديدة الطوال فى مداعبة بلبلها وملاعبته؛ ووجد البلبل الملك سلوة وعزاء فى حاله هذه مع الملكة ... لولا ما كان يكدره أحياناً من دخول الدرويش عليها فى ساعات اللهو واللعب ومغازلته الملكة وهى تبدى نفورها منه وتغلق الأبواب دونه

وكان غاصب العرش (الدرويش) كثيراً مايحاول استجلاب مودة البلبل ، ولكن بلا جدوى ، إذ كان كلما ازداد تقرباً إلى الطائر ازداد الطائر منه بعداً ونفرة ، بل ربما أوسعه نكزاً بمخلبه ونقراً بمنقاره مما كان فيه ملهاة للملكة ومعجبة

وكانت الملكة أنوشروان كلفة أيضاً بكلب مستأنس يبيت معها فى حجرتها ، وكان صديقها الأبكم وتابعها الأمين ، ومازال لها ولياً وفياً ولذكرى زوجها حافظاً حتى كان يشاركها النفور من الدرويش المتخفى فى جسد الملك . وكان الكلب بحكم الاختلاط قد ألف رائحة سيده وميزها من غيرها ثم تعود رائحة الدرويش مذ كان يغشى القصر على صورته القديمة . فلما وجد فيه رائحة لا تشبه تلك التي تعود شمها راح يعطس وينبح ولا تهدأ ثائرته حتى يفارق الدرويش غرفة الملكة . والكلب أقوى شماً من الانسان ، ولهذا كان أعرف باختلاف روائح الناس من الناس أنفسهم . فاتفق أن مات هذا الكلب ذات ليلة وأهل القصر كلهم رقود إلا البلبل الذى أبصر موت الكلب ، تاقت نفسه إلى التقمص فى جثته ثم ما لبث أن صنع ذلك فترك جثة البلبل وأحيا جثة الكلب التى حل فيها

فلا تسل عما أصاب الملكة من برحاء الوجد وحرقة الكمد عند ما استيقظت صباحاً فرأت حبيبها البلبل ميتاً وكان سلوتها وعزاءها . فانفرط بموته وانقطاع صوته عقد هنائها ونفدت البقية الباقية من صبرها

فاستدعى الملك الكاذب (الدرويش) وصائفها وأقبل معهن يحاول إقناعها ببطلان حزنها ، لأمر تافه كهلاك طير حقير . ولكنه عبثاً حاول وحاولن . وجعلت الملكة تبكى وتندب مما أذاب من كبد الدرويش رحمة بها ورثاء حتى وعدها أن يرد الروح إلى بلبلها . فإنه مازال يطمع فى رضاها ، وتحدثه نفسه الخبيثة بعدم اليأس من خداعها ، حتى ينال منها مأربه وهو فى نظر العالم كله زوجها إلا فى

نظره لعلمه بحقيقة أمره ، وفي دخيلة نفسها لشعورها بالنفور منه .

وقال لها : ولكن علينا أن نتفاهم أولاً قبل أن أخطو هذه الخطوة الخطيرة ، برد الروح إلى بلبلك الذى تؤثرينه علىّ .

إن ما أخذته عليك فى عهدنا الأخير من طبيعة الصخب والقسوة وميلك إلى مخاصمتي والتبرم بى وإرسال الزفير والشهيق ، وسكب الدموع ، لما يحزن النفس ويدميها ، ومما يدعوني إلى اتهامى إياك بسوء الخلق وحب الشر ، ولم يكن هذا عهدى بك منذ خرجت إلى الصيد وفقدت نديمى ذلك الدرويش المسكين الذى جندلته بسهم خاطئ أصاب أحشاءه فمزقها .

فقالت له : إن بعض هذه الطباع التى تكاد تسخطك وتحملك على اتهامى بسوء الخلق وحب الشر إنما هى ثمار أنتجتها نفس هذه التربة التى أنتجت الحلو الطيب من المحاسن ومحامد الصفات كالرحمة والحب والرقة ، فإذا رأيت الضدين من الخلق الناقض حيناً ، ومحمود التضحية وخالص الوفاء أحياناً ، فلا تحسبن هذا التناقض مظهراً من مظاهر العناد الكاذب والاستبداد الباطل ومحض الدلال والتجنى . وعليك أولاً أن ترد روح بلبلى إليه .

فوعدها بذلك وعد الواثق ، فحبست طوفان دمعها وتساءلت مندهشة : أنى له ذلك ؟ ولم تعهده من قبل يرد الأرواح ويعيد الموتي إلى عالم الأحياء حتى ولو كانوا طيوراً ، وإن ملك هذه الموهبة الخارقة ، فلِمَ لم يرد روح درويشه العزيز الذى كان يؤثره على كل من عداه من الندمان والبطانة ؟

ولكن الملك الكاذب لم يجبها ، غير أنه انطرح على مقعد ثم أرسل روحه فى جثة الطائر فعاش باذن الله المحي المميت المبدئ المعيد . وبلغ العجب من الملكة أقصى مبالغه

وكان الملك الحقيق برى ذلك كله بعينى الكاب الذى تقمص جلالته فى بدنه ، فما كاد يبصر الدرويش قد خرج من جسمه (وهو الجسم الذي كان الدرويش يختال فيه مذ تقمصه فى الغابة يوم الصيد) حتى خرج هو من جثة الكلب كالسهم المارق ، فاسترد جسمه قائلا : « هذه بضاعتنا ردت إلينا » ثم هجم على البلبل الكاذب (المتضمن روح الدرويش) فلوى عنقه وقصف رقبته

عند ذلك عاودت الملكة بكاءها ونحيبها ، ولكن زوجها الملك ما لبث أن أفهمها حقيقة الأمر من أوله إلى آخره مؤيداً قوله بحجتين دامغتين الأولى جسم الدرويش الذى مازال متروكا فى الغابة ، والأمر الذى أصدره الدرويش باعدام جميع ما احتوته البلاد من ظباء الوحش . وهكذا تنعم الملك بزوجته بقية العمر في رغد وصفاء .

محمد لطفى جمعة